الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص. ب ٤١٢٣ بيروت ــ تلفون ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - LIBAN
B.P. 4123 - Tel. 232832

الادارة : شارع سوريا ــ بناية درويش

صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس
Propriétaire - Rédacteur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس
Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

العدد السادس
حزيران (يونيو) ١٩٦٧
السنة الخامسة عشرة

* *

No. 6 Juin 1967
15 ème année

الأديب في المعركة !

لسنا من الذين يقولون ان الادب العربي الحديث متخلف ــ او قد يتخلف اصلا ــ عن الحدث الوطني او القومي في معارك المصير التي يشهدها تاريخنا العربي المعاصر . بل نحن نعتقد ان الادب قد اضطلع بدوره ومسؤوليته في هذه المعارك . وليس من الضروري طبعا ، لكي نستطيع ان نصدر مثل هذا الحكم ، ان نلتمس النتاج الادبي الذي يصدر في ابان المعارك ، ولكن دراسة معمقة واعية قد تؤدي بنا الى الايمان بأن في أصل كل معركة قومية او اجتماعية في تاريخ العرب الحديث جذرا ادبيا كان ابدا يمدها بنسغ منه .

ولسنا بحاجة الى تقديم الادلة على ذلك ، فحسبنا أن نتذكر أسماء في أدبنا الحديث انما استمدت قيمتها وشهرتها من كون اصحابها قد شاركوا ، على نحو او اخر ، بمعاركنا القومية والاجتماعية . حسبنا ان نذكر الافغاني ومحمد عبده والكواكبي والرصافي والشبيبي وجبران والريحاني ويكن وشوقي وحافظ ومطران والشاعر القروي وعمر فاخوري وسواهم . ان مقالا كان يكتبه بعض هؤلاء او قصيدة ينظمها بعضهم الاخر كانت تكفي ، حين تقع من نفس المصلح او الزعيم او القائد ، لتكون بذرة ارادة التغيير . وليس ثمة زعيم ، في تاريخ العالم كله ، وفي اي ميدان من ميادين الحياة ، الا ويعترف بأن آثار المفكرين والادباء قد كونت في نفسه نواة الرسالة التي اخذها على عاتقه في حياة قومه .

على ان نتاج الادباء الذي يعقب حدوث المعارك هو أعمق في الدلالة على دور الادب في حياة الامم والشعوب . ذلك ان هذا النتاج عبارة عن « شاهد » على الاحداث و « كاشف » لمعانيها ومغازيها . ولا ريب في ان الاديب الذي يوفق الى تصوير الاحداث القومية ، بعد وقوعها ، وتوجيه الاضواء على مواقع العبرة والدرس فيها ، انما يسهم اسهاما جذريا في تكوين التاريخ المقبل لامته ، لانه هو الذي يشحن افراد هذه الامة بطاقات من العزة والكبرياء والاحساس القومي تفجّر عندهم ، في اللحظات الحاسمة ، ارادة النضال والقوة على الكفاح ، حتى يكونوا جديرين بتاريخهم ، وعلى مستوى الحدث الذي يعيشونه .

من اجل ذلك نعتقد بأن هذا السؤال ، الذي يطرح منذ سنوات ، عما اذا كان الادب العربي الحديث متخلف عن الاحداث ، لا يخلو من خطأ وتكلف . فالتخلف يعني في الدرجة الاولى حكما زمنيا بالنسبة للحدث . ونحن نؤمن بان النتاج الادبي لا يحد ، من حيث التأثر والتأثير ، بزمن او تاريخ ، لان زمنه التاريخ كله . واذا لم يتمكن الاثر الادبي الذي يعقب الحدث من ان يكون له تأثير على هذا الحدث ، فانه مطلق الطاقة والقدرة لممارسة هذا التأثير على احداث لاحقة قد تشبه ذلك الحدث او لا تشبهه . من هنا كان دور الادب في حياة الامم دورا متصلا ، متتابعا ، مترابطا على ممر التاريخ . ومن هنا ، كان بامكان القارىء اليوم ان يجد في آثار ادبية قديمة تعود الى مئات القرون السابقة ، ما يعينه على تفسير احداث معاصرة والارهاص بأحداث مقبلة .

***

ولكن هذا لا يعني طبعا ان أدب كل اديب انما هو بالضرورة ادب رسالة ، وانه من ثم يحمل نزوعا او دعوة

الى التغيير . ان في نتاج كل امة ، وكل فترة من تاريخها، اثارا لا تمت بسبب الى همومها او شواغلها . وهذا ما نجده كذلك في ادبنا العربي الحديث .

بيد اننا ان كنا لا نلقي بالا الى مثل هذا النتاج في ظروف الامة العادية ، فلا مناص لنا من أن ندينه في ظروف المعارك القومية .

والامة العربية تقف اليوم على مفترق طرق في تاريخها الحديث ، تقف على ابواب المعركة الكبرى التي يتوقف عليها مصيرها النهائي . انها معركة العرب ضد الاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية . ولم يسبق للوطن العربي ان واجه الخطر الذي يواجهه اليوم ، كما انه لم يسبق للشعب العربي ان عبأ طاقاته وحشد امكاناته كما هو شأنه اليوم .

والاديب العربي في هذه المعركة طليعة النضال ومركز القيادة . انه مدعو الى المشاركة ، لا كأي مواطن يستعد لبذل دمه وروحه دفاعا عن حقه في العيش ، بل كأي فدائي يقتحم الموت ليوفر لامته الحياة .

وتافه هو هذا الكلام الذي يطلق من هنا وهناك ، بين الفينة والفينة ، بحجة الحرص على فنية النتاج الادبي ، وابعاده عن بؤرة الحميا القومية او الوطنية. فانني اذ اكون ، انا الاديب الكاتب ، مهددا في حياتي ومصيري، لن يهمني أن ألتفت الى قلمي الا بمقدار ما يساعدني هذا القلم على الدفاع عن حياتي ومصيري. وسوف اكتب كل ما يمكنني من ذلك . ولئن فقد ما اكتبه امكانية البقاء والخلود ، فانه يحتفظ على كل حال بحرارة الاخلاص واندفاعة الوفاء والامانة ، ونضارة التلقائية ، وكلها وقود مطلوب لمعركة المصير .

ان الاديب الحقيقي ، في معارك النضال، لا يستطيع ان يقف على الهامش ، بل ان من واجبه ان يحدو القافلة ويدفع الركب ويغذي طاقة الكفاح في نفوس المواطنين

والاديب العربي ، في لبنان خاصة ، يواجه واجبا مزدوجا : ان يعين في التعبئة والحشد ، وان يقف في وجه حملات التشكيك والانهزامية ، هذه الحملات التي بدأنا نرى طلائعها على اقلام بعض الصحفيين المأجورين والادباء المرتزقة المرتبطين بعجلة الرجعية العربية والاستعمار الجديد الضالعين مع الصهيونية العالمية. وعلى الادباء الاحرار في هذا البلد أن يكونوا الجبهة الصامدة في وجه هذه الحملات وأن يفضحوا هذه الاقلام بلا هوادة ، ما دامت السلطات لا تحرك ساكنا لتحطيمها بحجة الحفاظ على حرية القول والكلمة ...

ان معركتنا مع الاستعمار والرجعية والصهيونية طويلة قاسية ، وينبغي للاديب العربي ان ينفض عنه خمول الاهواء والنزعات الخاصة ، وان يتجند في صفوف الشعب ، وان يكرس قلمه لبث روح الكفاح وتغذية النضال ، وغنية جدا هي المادة التي يستطيع ان يستغلها لتصوير جوانب من هذا النضال وذاك الكفاح ، فان الشعب العربي ما ينى يقدم كل يوم الادلة الباهرة على البطولة والفداء ، في الارض المحتلة والجنوب العربي واليمن ، وكل بلد عربي يعاني من الاستعمار والرجعية .

ان الاديب العربي مدعو اليوم اكثر من اي يوم مضى الى اشهار سلاح الكلمة ، وشحذ هذا السلاح ، وتبرئته مما يعلق به ، بين حين واخر ، من آثار العهر الفكري الذي يمارسه بعض الكتبة الخونة . وتلك هي المعركة الشريفة الوحيدة التي يستطيع الاديب العربي ، في هذه المرحلة من تاريخه ، ان يخوضها ، دعما للشعب العربي في نضاله، وتأييدا لقادته المخلصين .

سهيل ادريس

صدر حديثا

دراسات

في الأدب الجزائري الحديث

تأليف

الدكتور أبو القاسم سعد الله

منشورات دار الاداب

الثمن ٢٥٠ ق. ل